اجتهادات
عصاباتُ .. ومافيات

كانت عبارة العصابات الصهيونية شائعة، بمعناها الإجرامى المعاصر وليس اللغوى التقليدى، فى إعلام بعض البلدان العربية والخطابات السياسية فيها، لفترةٍ طويلة. وأخطأ حينذاك من تصوروا أن استخدامها نتج من ضعف المعرفة الموضوعية بالكيان الإسرائيلى، وتسبَّب بالتالى فى نتيجة حرب 1967. ويعود الخطأ إلى أن ضعف المعرفة بهذا الكيان ترتب على استهانةٍ بأحد أهم شروط إدارة الصراع، وهو «اعرف عدوك». ولما انتهت تلك الاستهانة وبُدئ فى دراسة الكيان الإسرائيلى علميًا، تبين أن الحديث عن عصاباتٍ صهيونية كان الأصح معرفيًا بين كل ما قيل عن الكيان الإسرائيلى قبل أن يُخضع للبحث عقب حرب 1967. شَكلت تلك العصابات، بدءًا بالهاشومير، فى المرحلة الأولى من الاستيطان اليهودى، وقامت بالدور الرئيسى فى اغتصاب فلسطين بعد ذلك. ولم تنته عصابات الهاجاناه وأرجون

وشتيرن وبيتار وغيرها بالاندماج لتكوين الجيش الصهيونى عام 1948. فقد استمرت فى صورتها السياسية التى نجدُ فى تكوين الحكومة الإسرائيلية مثالاً لها. عصاباتُ تنتحلُ صفة أحزاب، وتتسابقُ لقتل الفلسطينيين وتدمير ما بقى من أرضهم. وتبدو الهاجاناه وأخواتها متواضعةً بالقياس عليها. وقل مثل ذلك عن المافيات الحالية فى السياسة الأمريكية عندما نقارنُها بالمافيا التى تكونت فى نيويورك وبعض ولايات الساحل الشرقى الأخرى وولاية الينوى فى القرن 19. كم تبدو تلك المافيات هزيلةً ضامرةً بالقياس على الجماعات التى ارتكبت أبشع جرائم الإبادة الجماعية خلال مراحل تأسيس الدولة الأمريكية، وامتداداتها الراهنة التى تقترفُ جرائم مهولةً من خلال وجودها فى قلب سلطة هذه الدولة فى واشنطن، كما فى ولاياتها الأخرى.
اكتسبت مافيات الدولة الأمريكية طابعًا رسميًا، وأكسبتها المناصبُ العليا حصانةً، وأمدتها بموارد هائلة اغتصبتها من أهلها الأصليين الذين أُبيد معظمهم، وطوَّرتها بعد ذلك لبناء قوة كبيرة استخدمتها فى غزواتها وحروبها

والانقلابات التى دبرتها أجهزةُ استخباراتها ضد حكوماتٍ رفضت الرضوخ لهيمنتها. والحال أن الجماعات الإجرامية التى أبادت السكان الأصليين فى شمال أمريكا، وامتداداتها فى السلطة بعد تأسيس الولايات المتحدة، هى الأجدر بأن تُسمى مافيات، وتوضع مع حليفاتها الصهيونية فى أعلى مرتبةٍ فى تاريخ الجريمة السياسية والاقتصادية المُنظمة فى العالم.